شجر للغربة ... شجر للغرابة

ممدوح سكاف

ليس أمامي الا الغربه
فلأركب ظهر جواد الريح العجماء الى المجهول البكر
عوالم من صخر وردي أعبرها ، تعبرني
وحقولا من ياقوت ، وبحارا خضراء
وشمسا دانية ، أركض نحو جدائلها الشقراء
سفينة قرصان تحملني آن الرمق الآخر يتناهض
من غرفة تحنيط الاحياء
الى مسلخ تكفين الموتى
فأعود الى قوقعة الرخّ وأزعم
ان صراط الليل تهاوى
في أعماق الوديان الزرقاء قطيعا
والشرر الجوريّ تناسل من أرحام الآبار القفراء
وان طنين ذباب الظهر تقاطر في أرجاء المعمورة
من أقصى المشرق ، حتى أقصى المغرب
أيقظ في حزن مولود الجنس القادم
من طوطم كهف العتمة والدهليز السري
الى الدنيا العارية ـ وحيدا ـ كالدمعه ..
أزعم ان الغربة ليست الا الكربه
أعجم أعوادي النخراء
لأفرقها
واحدة ... ... واحدة
وأنادي من يأسي الشاوي
من سقطة روحي
عدمية أغواري
شفقي المربدّ
قلاعي المهدومة
وسموقي المتهاوي :
ـ اني مفجوع ... مفجوع بأحبائي
فانطلقي يا أعراس الوهمِ
الى غابات الحلمِ
حثيثا ،

وحثيثا ، آمرك ، كما البرق الخطاف انطلقي
من عشّ الرخّ الميت المصدوعِ
حثيثا
من متحف هذا الزمن الموبوء
بقتل الغزلان الحبلى بالاقمار الشفقية
والاطيار المزهرةِ
انطلقي ...
فقريبا ، زائرنا الاعمى
يفتضّ بكارة كل الاشياء النائمةِ
ذوات الاغشية الناعمةِ
وينأى حيث الطاعون
وحيث الملل يعشش
والاسماك على الرمل تعطن
آن مياه البحر الرقطاء تجفّ
وآن الزهر يغضن من غلواء نعومته ،
والاطفال يموتون من الجوع الكافر
ينفق واحدهم كالحيوان بعرض الشارع
يتفسخ رائحة
طبلا يتكوّر
وسحايا تظلم
آن الصدق يصير عواء
والبرية ذئبا
والشجرة وطواطا
والنبع السلسل مملحة

والحب عروضا في سوق نخاسة هذا العصر
وآن الحمقى والجوف هم الملأى والعقلاء
وآن الارض هي المنفى
والانسان هو المنفيّ ، الوجدان هو المحطوب
القافلة هي الآفلة ، الاقزام عمالقة
آن الـ « نعم » هي المنجية
« اللاء » هي القاتلة
الاذعان جنان من عسل والرفض جهنم من زقوم
والرمل يسفّ ويمضغ بين الفكين زجاجا
وطحين الفقراء تهرّبه الاطباق الطائرة
وزيت قناديل الاكواخ
يصير دواء للجرحى
وربيع الارض ، مواسم حزن وقيود
وشتاء الخصب بوار
وشموس مطفأة
آن هواء مدينتنا مقتلة
سُمّ حربانيّ النزف
وآن قطار بضائعها وسوائمها يقصف
أعمارا كالازهار ، يمزّق تحت سنابكه
لحم الاطفال كلحم الفئران ، يقيم مناحات في أعشاش الريح
ويصفر صفرته الكالحة
فلا تهتزّ بأروقة السلطان اشاره ..
هل ثمة الا الغربة أسكنها
أعتزل جحيم الاحياء
والبس جثة أموات
لا تعرف طعما غير الصمت
ولا وجها غير الاطراق
ولا لونا غير الصفرة
هل ثمة الا الغربة ، أسكنها
هل ثمة الا الغربه ..
هل ثمة الا هذي التجربة الغامضة الصعبه

حمص

●

الطواشا

قصة بقلم سهيل الخالدي

« أتمنى أن أكتب قصة ، قصة تعجب النقاد قدامى ومحدثين ، أقول فيها كل الذي جرى لغيري من الناس الذين لا أعرفهم ، وأذكر كل العبارات والمفردات التي قالوها ، فجارتي مثلا لن تقبل ان اذكر امرأة ما بكت حين عرّاها رجل ما وتفرج طويلا على ما لا يتفرج عليه ، ثم ارتدى ملابسه وخرج . لن تقبل وستعتبرها حكاية مختلقة رغم انها المرأة وان الرجل هو احد الاصدقاء ... أتمنى أن أكتب قصة » .

وخلع عبد العزيز الطواشا ملابسه ودخل في منامته وبأقل من دقيقة كان يدسّ جسده في الفراش « ... أبي سيغضب لو قلت ان شقيقتي التي تنهر اخوتي الصغار اذا ما تلفظ أحدهم بكلمة نابية قد أجهضت قبل يومين ! سيغضب ويعتبرني ولدا عاقا أساهم في تخريب بيته مع عشيقها الضابط » وامتدت يد الطواشا الى علبة السجائر الاميركية « ... ليس أبي أو جارتي فقط ستزعجهما هاته الكلمات ، فكل الرجال وكل النساء سيغضبون ، فالمسألة النسوية في مجتمعنا محلولة ، والرجل عندنا يحب المرأة ويغار عليها ، فكم من واحدة قتلها شقيقها لانها أحبت غيره ... أتمنى أن أكتب قصة » فرك عبد العزيز سيجارته في المنفضة « ... قصة أقول فيها للمرأة في بلدنا انك أمة سواء استعبدك صك زواج أو فاتورة أقمشة ، وانك فقاسة تفرخين عبدا كل عام » وتقلب الطواشا داخل فراشه « .. لو قلت هذا لتحالفت الامة مع سيدها الذي ولدته وقالا : اباحي ، ملحد ، قذر ، يستورد أفكاره ... من ناحيتي سأقبل كل هذه الاوصاف اذا لم يعتبروني خارجا عن قوانين المجتمع، فمسألة الاستيراد لا أنكرها، اذ استوردت أفكاري على نفس الباخرة التي استوردوا هم فيها بضائعهم وبنادقهم التي يقتلون بها النساء والمتظاهرين ... أتمنى أن أكتب قصة » .

وجذب اليه الغطاء بشدة حتى بانت قدمه ثم سحب جسده واتكأ على عارضة السرير وأشعل لفافة وتناول من على منضدة السرير كتابا وراح يقرأ : كيف تكتب العربية بأفكار صهيونية ... رنّ جرس الهاتف ، نظر الى ساعته ، انها الثالثة صبحا « بالتأكيد من مستشفى الولادة حيث الزوجة . لماذا يصر الاطفال على المجيء الى الدنيا في الساعات المتأخرة ؟ ثم من أدراني